الجذور الأيديولوجية لمجموعة من النظريات اللغوية الحديثة

الدكتور
حامد ناصر الظالمي
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الانسانية

ملخص البحث :

يطرح هذا البحث فكرة تأثر الدراسات اللغوية المعاصرة بنظريات مهمة خارج سياق اللغة أي هي في الأصل نظريات سياسية وآيديولوجية وتأريخية ودينية وكيف تمارس مثل تلك النظريات فعلها وأثرها في السياق والنظرية اللغوية وكيف تتمظهر اللغة كإحدى مخرجات تلك النظريات، وهذا ما يعني تفاعل النظرية اللغوية مع غيرها من النظريات الفكرية كونها إحدى منتجات العقل البشري وهذا يعني كذلك طواعية الأفكار اللغوية كي تتجسد بها النظريات غير اللغوية.

الجذور الأيديولوجية
لمجموعة من النظريات اللغوية الحديثة

بات من المعروف عند فلاسفة اللغة إنها في حقيقتها تعبير عن ثقافة الشعب المتكلم بها بل هي الممثل الحقيقي لشخصية الشعب فهي ناقلة للأفكار والمشاعر والتجارب بل أن الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة عاشوا بها تربطهم علاقات ومشاعر لا يفهمها إلاّ مَنْ عرف تلك اللغة واستغرق في الإحساس بها. ولهذا يقول آدام شاف (ومهما يكن الأمر ، فمن المؤكد أن نسق لسان ما يحدد تصورنا للعالم) [1] ويذهب لغوي أخر وهو ايفانوف- الذي كان ينتمي إلى جماعة موسكو تارتو- إلى أن اللغة تحمل في طياتها نسقاً للعالم. وأن البشر يودعون في اللغة نظرتهم للعالم [2] وانطلاقاً من هذه الأقوال قام بعض الباحثين بدراسة بنية اللغة مقارنة مع بنية المجتمع المتكلم بها فقد قام الباحث الألماني هينز باتشر بدراسة الألمانية وأبنيتها في المجتمع النازي وانتهى إلى أن الأشكال اللغوية في مجتمعات المساواة تركز على المحمولات والتقييمات التي يقوم بها الفاعلون بينما وجد أن لغة المجتمعات المتراتبة أي المجتمعات ذات البيروقراطية العالية تعتمد لغتها على الحث والتحريض وقواعدها كذلك ونحوها. وتأخذ قالباً جامداً فظاً وتكون لها صبغة شعائرية لها طابع الأمر والخضوع والإجبار بينما تكون لغات المجتمعات المنفتحة ملكاً لكل الناس تتطور بحرية تامة[3] وتظهر فيها مساحة واسعة من حرية الأخذ والعطاء مع الاحتفاظ بشخصيتها ، وهذا ليس غريباً على اللغة العربية إذ أنها لغة كباقي اللغات فقد أثرت البيئة التي كان يعيش فيها العرب قديماً في لغتهم وأسلوب الدعاء خير ممثل لذلك فالعربي يدعو مثلاً بـ (سقى الله عهدك) و(شفى الله غليلك) وغيرها من العبارات التي يشتم منها أو تعبر تعبيراً دقيقاً عن معاناة العربي من العطش وحنينه إلى الماء

والبرد فهما عنده من النعم الكبيرة ولهذا يدعو بها لِمَنْ يحب. ويضرب الدكتور نصر حامد أبو زيد مثالاً على انعكاس عقلية المجتمع بلغته فاللغة العربية كما يقول (تصر على التفرقة بين الاسم العربي والاسم العجمي بعلامة يُطلق عليها في علم اللغة التنوين أو التصريف وهي نون صوتية تلحق آخر الأسماء العربية على مستوى النطق لا على مستوى الكتابة فيقال مثلاً محمدٌ ، عليٌ ، رجلٌ في حالة الرفع وكذلك في حالتي النصب والجر. ولكن النون لا تلحق الأسماء غير العربية مثل إبراهيم ، كسرى..)(٤) ولا يكتفي الدكتور نصر حامد أبو زيد بذلك بل يرى أن ((التمييز بين العربي وغير العربي على مستوى بنية اللغة وعلى مستوى دلالتها ينبع من تمييز آخر بين المذكر والمؤنث مساوياً للاسم الأعجمي من حيث القيمة التصنيفية فبالإضافة إلى(تاء) التأنيث التي تميز بين المذكر والمؤنث على مستوى البنية الصرفية. يُمنَع التنوين على اسم العلم المؤنث كما يُمنع عن اسم العلم الأعجمي سواء بسواء) (٥) وهو يرى أن اللغة بذلك ((تمارس نوعاً من الطائفية العنصرية لا ضد الأغيار فقط بل ضد الأنثى من نفس الجنس)) (٦) واعتقد أن هذا الاستنتاج ليس صحيحاً فهي ليست قضية تفرقة أو نزعة طائفية بل الأمر هو أن العربي قديماً وحديثاً كان يعد المرأة من الأغيار الذين لا يدخلون سلسلة النسب والنسب مرتبط بالرجال فقط وهم يرون أن أولاد الرجل هم امتداده وأولاد البنات هم أولاد الرجال الأباعد.

ولأهمية اللغة في اكتشاف ومعرفة البنية الاجتماعية للشعوب ولارتباط اللغة بالشخصية القومية أرادت مجموعة من النظريات اللغوية الحديثة تدمير اللغات القومية للشعوب وخاصة الشرقية التي تعتز كثيراً بلغتها الناقلة لثقافتها عبر آلاف السنين. ولكن بعض الشعوب لم تتأثر بذلك ولم تأخذ بتلك النظريات في حين أخذت بها الشعوب العربية بعد أن ترجمتها ، بل أن من المثقفين العرب مَنْ يرى ضرورة ترجمة كل شيء يصدر عن الغرب كي يتم تمثله في الثقافة العربية. بل ويعيب على الثقافة العربية عدم تمثلها للجديد وبسرعة فمثلاً البنيوية لم تُترجَم إلى الثقافة العربية إلاّ بعد أن أفلت شمسها في بيئتها الأولى. ولكن مثل هذه الآراء بعيدة عن الصواب فالظاهرة الأدبية أو الثقافية كما يقول الأستاذ فاضل ثامر ((لا تنتشر وتشع وتؤثر إلاّ بعد أن تنضج وتتبلور في موطنها الأصلي وبعد أن تكتسب شرعية تأريخية وفنية وتكون قادرة على التأثير والإيصال ضمن حدود ومناخ ثقافي معين تصبح عند ذلك فقط مؤهلة للنزوح إلى بيئات ثقافية واجتماعية جديدة)) (٧) وخاصة عندما تلاقي شروطاً موضوعية وثقافية صالحة لإعادة الإنتاج والاستنبات)) (٨) أو أن تلاقي شعوباً لا تملك فلسفة كونية أو قومية تحميها من تلقي الأفكار الغربية ، ولكن الشعوب التي تملك رؤية خاصة بها لا تستسلم للأفكار الغربية مهما كان الأمر. فاليابانيون مثلاً نقلوا كل علوم الغرب وطوروها ولكنهم لم يأخذوا العلوم الدينية أو العقائدية أو اللغوية فقد حافظوا على مرجعياتهم التأسيسية ((وهكذا خلط اليابانيون ضمن إطارهم المرجعي وظرفيتهم التأريخية تلك طريقة للاستفادة من استعارات الآخرين دون الوقوع في وحل حمولتها العقائـــدية فمقابل

خصوصية أوربية ـ و أمريكية يتم تطوير الخصوصية اليابانية دون الذوبان في مصطلح الغير)) (٩) أما المثقف العربي فعلى العكس تماماً فهو يميل إلى الإحساس بالنقص بدرجات متفاوتة بدءاً من رفاعة الطهطاوي وإنتهاء بالمثقف المعاصر. بدءاً من حملة نابليون بونابرت وهزيمة العرب عسكرياً وفكرياً أمام الغرب. هذا الشعور جعل المثقف العربي منهزماً أمام ذاته فأصبح مستورداً حتى أفكاره.

وإذا ما حاولنا الرجوع إلى مثالنا الشرقي – اليابان – وتفحّصنا لغتهم فإننا نجدها تمثل خير شاهد على الاستقلالية والذاتية. فاللغة اليابانية كما تشير المصادر. فيها ثلاثة أنظمة مختلفة للكتابة هي:

١- الكانجي وهو نظام مستعار من اللغة الصينية

٢- الهيراجانا وهو النظام الكتابي الياباني التقليدي قبل أخذ النظام الصيني

٣- نظام الكاتاكانا وهو مزيج من النظامين السابقين وهو نظام خاص لكتابة الكلمات و الأسماء الأجنبية المستعارة من اللغات الأخرى كافة باستثناء الصينية. وبهذا النظام تعزل اللغة اليابانية الألفاظ الغربية عنها ويكون من السهل على القارئ الياباني أن يميز ببصره ما هو أجنبي وما هو ياباني في نص مكتوب بلغته (١٠) وهذا يتوافق مع ما ذكر سابقاً عن اللغة العربية والكلمات الأعجمية. أي التنوين في العربية وعدمه في غيرها.

بعد الحديث عن أهمية اللغة ستتعرض إلى موضوعنا وهو النظريات اللغوية الحديثة وأصولها الآيديولوجية ونبدء بالمدرسة التأريخية المقارنة. التي نشأت في القرن التاسع عشر وهو القرن المعروف بالنزعة التطورية وخاصة في العلوم الطبيعية إذ كان لنظرية دارون أثرها في نشأت الدراسات التأريخية المقارنة التي تبحث في أصول اللغات. فقد أهتمت هذه الدراسات بالسلالات البشرية وحاولت البحث في جذورها اللغوية والثقافية وقام أصحاب هذه المدرسة بتمييز العروق البشرية وصنّفوها إلى عروق متطورة لغة وحضارة وأخرى منحطّة. ويُعد المستشرق الألماني شلوتسر (ت ١٧٨١) من الأوائل الذين بحثوا في مثل هذه الموضوعات فهو الذي أطلق على مجموعة اللغات – شمال الجزيرة العربية – مصطلح اللغات السامية أي اللغات التي انحدرت عن سام بن نوح(ع) وهو متأثر بنص التوراة الآتي ((وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان بنو يافث جومر وماجود وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس ... وبنو حام كوش ومصرايم وفو وكنعان .... وسام أبو كل بني عابر أخو يافت الكبير ولد له أيضاً بنون ، وبنو سام عيلام وآشور وارفكشاد ولود وآرام .... هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم، ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان....))(١١) ولم تك تلك التسمية من ابتكار شلوتسر بل تنبّه لها اليهود الذين كانوا في الأندلس في القرون الوسطى ثم جاء المستشرقون وأخذوها عنهم (١٢) وقد أعترض كثير من الباحثين على هذه التسمية أي اللغات السامية ومنهم اللغوي ماريو باي الذي قال ((ليس هناك دليل على قرابة هذه الأسرات – اللغوية – فكاتب سفر التكوين كان

يقسم الشعوب لإعتبارات سياسية فمَنْ صادق اليهود جعله من الساميين ولذا ذكر سفر التكوين كنعان من غير ابناء سام في حين أن البحث الحديث يثبت أن الكنعانية فرع من فروع اللغات السامية وذكر التكوين أنّ عيلام◆ من أبناء سام وأثبتَ البحث الحديث أن اللغة العيلامية ليست من اللغات السامية)) [١٣]

ومن الاعتراضات الموجّهة إلى تلك التسمية غير الشاملة والدقيقة ((أنه توجد لغات سامية والناطقون بها غير ساميين ولا يجمعهم بالأمم السامية أصلٌ قريب مثل الأحباش فلغتهم سامية وهم من الجنس الحامي حسب تقسيم التوراة)) [١٤]

نظر أصحاب الدراسات التأريخية والمقارنة إلى بعض اللغات نظرة تقديس كاللغات الهندوأوربية فهي عندهم لغات معربة نبيلة تكّونت تكويناً عضوياً واللغات الأخرى لغات غير نبيلة غير معرّبة ناقصة بالقياس إلى الأولى. واللغات السامية ◆ من الفئة الثانية فهي لغات غير معربة وغير نبيلة[١٥] وقد يكون السبب في ذلك التمييز العنصري بين اللغات راجع إلى أن علماء الدراسات اللغوية المقارنة (شليجل ، فرانس بوب، وشلاشير) كانوا من الألمان ، ويعتقدون بتفوق العنصر الألماني على غيره من العناصر وبما أن اللغة الألمانية هي أقرب اللغات للسنسكريتية فهي أفضل اللغات، وأرى أنّ هولاء اللغوين قد تأثروا بآراء هيجل، فشلايشر كان من المعجبين بفلسفته [١٦] ومن المعروف أن هيجل قد قَسّم العالم إلى قسمين عالم تأريخي مبدع وعالم لا تأريخي ، فالشعوب التي تنتمي إلى العالم الأول هي تنتمي إلى التأريخ الكوني ويرتقي وعيها إلى أعلى المستويات ليتخذ روحاً فلسفياً من الطراز الأول. والشعوب التي تنتمي إلى العالم الثاني هي شعوب غير تأريخية لا يتجاوز وعيها التأريخي الأفق الديني ، وهكذا فالفئة الأولى ، وتمثلها الشعوب الأوروبية هي فقط التي وصلت إلى مرحلة النضج والاكتمال العقلي ، والفئة الثانية وتمثلها الشعوب غير الأوروبية لم تتجاوز بعد مرحلة الأساطير والطفولة[١٧] وهكذا أدّت مثل هذه الدراسات إلى التميز بين لغة ولغة مما جعل بعض اللغوين يدعون على مبدأ التساوي بين اللغات وإلغاء مثل هذه الدراسات ، وكان فرانز بواز أول مَنْ نادى بذلك في كتابه ((دليل اللغات الأمريكية الهندية الذي صدر عام ١٩١١)) فقد هاجم بضراوة المزاعم القائلة بأنّ أصوات اللغات غير الغربية غامضة ومتغيرة وهي مستعصية على التدوين كتابة وأنّ البنية القواعدية لتلك اللغات – غير الغربية عاجزة عن التعبير عن المفاهيم المجردة وأثبت ان اللغات غير الغربية ذات نظام قواعدي مثلها مثل غيرها من اللغات الغربية[١٨] – وهناك مدرسة لغوية أخرى لها أصول ايديولوجية غير مقبولة عند الكثيرين وهي الوضعية المنطقية – التي نادت بفكرة التحليل .. فحاولت نسف كل الموروثات الثقافية للشعوب وكان جُل مؤسسيها من اليهود ولهذا قيل عنها أنها (الإسهام الحقيقي للفلسفة اليهودية في كل تأريخها) [١٩] وتمثّلت هذه المدرسة بتجمع فينيا اليهودي الذي يتفق أعضاؤه على القضاء على الميتافيزيقيا بدعوى العلمية.... وانتهت هذه الجماعة وتفككت بعد أن لا حقتها الحكومات الأوروبية لخطورة دعوتها ولهذا قُتل رئيسها شليك وهاجر لود فيج

فتجنشتين من النمسا موطنه إلى كمبردج سنة ١٩٢٩ ومن أعضاء هذه الجماعة كذلك أفريدريك وايزمان وهانزهان ، وكورت جودل ، وررودلف كارناب ، وأتونويراث ، وتسلزل ، وفيجل ، وهيوس ، وفيكلس كاوفمان)).

- ومن الدعوات اللغوية المشكوك في سلامة نيتها ((الدعوة للعامية)) التي ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر في أوربا إذ أنشئَت معاهد خاصة لتدريس اللهجات العربية العامية وكان الغرض من إنشاء تلك المعاهد تخريج السفراء والقناصل وأعضاء الهيئات الدبلوماسية ولتخريج الجواسيس وغيرهم من الهيئات والأفراد الذين يوفودون إلى البلدان العربية المختلفة)) [٢٠]

ولم تكن هذه الدعوة خطرة في بداية أمرها لأنها كانت بعيدة عن البلدان العربية ولكن بعض المستشرقين جاءوا إلى الوطن العربي خصيصاً لهذه الغاية أي الدعوة إلى العامية وأخذوا ينشرون مؤلفاتهم ومقالاتهم باللغة العامية ويدعون للأخذ بها مستغلين مراكزهم ونفوذهم للوصول إلى غايتهم المنشودة. وكان من أبرز أولئك المستشرقين الدكتور ولهلم سبيت... والدكتور كارل فولرس ١٨٥٧-١٩٠٩ وكلاهما مَنْ الجنسية الألمانية وعملا مديرين لدار الكتب المصرية وكان سبيت أول من دعا إلى الأخذ باللغة العامية المصرية وإلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني عندما وضع كتابه((قواعد العربية العامية في مصر)) وذلك سنة ١٨٨٠م وتلاهما في هذا الاتجاه المستشرقان البريطانيان سلدن ولمور وياول اللذان عملا كقاضيين في المحاكم الأهلية في القاهرة فوضع الأول كتاباً سنة ١٩٠١ سمّاه ((لغة القاهرة)) ثم جاء دور ويليام ويكلوكس. الذي من أكثر المستشرقين نشاطاً في الدعوة إلى العامية إذ كان يعلم ان الفصحى هي سر الترابط القومي بين العرب. وألقى في تلك المجموعة من المحاظرات ، ونشر سنة ١٩٢٦ رسالةً في هذا الموضوع وترجم قطعاً من مسرحيات شكسبير إلى العامية المصرية. وترجم قسماً من الكتاب المقدس إلى العامية المصرية أما المستشرق الفرنسي لويس ماسينيوس فقد كان له دور مهم كذلك في الدعوة للعامية إذ ألف كتاباً عن العامية البغدادية وترجمه إلى العربية أكرم فاضل ونُشر في العراق سنة ١٩٦٢. وهكذا فقد أثرت هذه الدعوة في بعض الباحثين العرب كسلامة موسى ولويس عوض وعبد القادر المغربي. ونشرت مجلة المقتطف سنة ١٨٨١ مقالاً في ذلك وكذلك مجلة الأزهر بل ومجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة. [٢١]

وربط بعض الباحثين [٢٢] بين هذه الدعوة وبين المخططات الصهيونة الرامية إلى إصلاح اللغة العربية أو تحديثها عن طريق الزعم القائل بكتابة اللغة المنطوقة أي العامية فكما تفرعت اللاتينية المنقرضة إلى لغات حية كذلك تتفرع العربية – المُراد لها الإنقراض – إلى العاميات...

اللسانيات البنيوية وأصولها الأيديولوجية

بعد أن نشرت محاضرات دوسوسير سنة ١٩١٣ التي تُعد فاتحة لعصرٍ جديد في الدراسات اللغوية – المسماة باللسانيات البنيوية – والتي تصور النظام اللغوي نظاماً ثابتاً مطلقاً متعالياً في عصر وزمن محدد...

وهي تؤمن بأن من الواجب جعل دراسة اللغة كأي علم منضبط أخر فاللغة كالرياضيات وغيرها من العلوم المضبوطة ويفترض أن يطبق عليها ما يطبق على غيرها ويعتقد الدكتور فؤاد زكريا أنّ البنائية لها جذور فلسفية أقدم من أصولها اللغوية وأن أهم هذه الجذور فلسفة(كانت) التي تبحث عن الأساس الشامل اللازماني ، والتي تؤكد على وجود نسق أساسي تتركّز عليه كل المظاهر الخارجية للتأريخ وهذا النسق سابق على الأنظمة البشرية ، كي تستند إليه تلك الأنظمة زمانياً ومكانياً أي أن هذا النسق قبلي ، ولهذا ظهرت عند البنائيين فكرة النسق الشامل الذي تنتظم فيه العناصر (٢٣) ومبدأ السكونية هو من المبادئ المهمة في البنائية سواء كانت اللغوية أو غير اللغوية فهي لا تدرس الحالات المتغيرة في زمان أو مكان متغير بل تقوم بوصف الأنساق الثابتة. في وحدة زمكانية محددة وهكذا فهي عندما تصف الإنسان تصفه ضمن نسق محدد فيكون مفعولاً لا فاعلية له لأن النسق الأجتماعي أو الأسطوري أو الاقتصادي أو اللغوي... هو المُسيّر له وهكذا وصفت البنائية بأنها منهج يؤكد على الجبرية المطلقة ويجعل النزوع الإنساني سلبياً وخاضعاً للواقع مهما كان وليس له القدرة على التغير. وكذلك التأريخ فهو من وجه النظر البنائية مجرد(تعاقب لصور تظل في أساسها ثابتة وأن اختلفت مظاهرها التأريخة) (٢٤) إذن البنية واحدة عبر العصور وكل ما يضاف لها لا يغير منها في أصل تكوينها ولهذا ((أعتقد مؤرخو الحضارة أن كثيراً من ضروب التفكير العلمي والإبداع التكنولوجي التي عرفها العصر الحديث ليست إضافة مطلقة لشيء لم يكن موجوداً من قبل بل هي تنمية لبذرة سبق ظهورها في عصور ماضية))(٢٥) فالأفكار وفقاً لذلك لا تحمل جديداً ... بل هي نفسها في الصميم. فنظرية التطور التي ظهرت في القرن التاسع عشر على يد دارون ما هي إلاّ صياغة جديدة لفكرة ثابتة في العقل البشري جاءت من القرن السادس ق.م. على يد انما كسيندر واتخذت اشكالا متعددة إلى أن صاغها دارون. وكذلك البارود الذي اخترعته أوربا فإن الصين قد استخدمته من قبل والطاقة فقد اكتشفها الروماني هيرو قبل جميس واط وغير ذلك. (٢٦)

أُنتقدت البنائية كثيراً وخاصة في موضوعة عدم مبالاتها بالنزعة الفردية والإنسانية إذ أن الذات قد أختفت في ظل البنائية وإنطوت تحت النسق أو البنية الشاملة فالفرد ((ليس أكثر من شكل غير مستقر قابل للاستبدال ضمن نظام لاروح فيه)) (٢٧) وفي الوقت ذاته نجد أن لوسيان جولدمان يقول عنها((أنها فلسفة مجتمع ييسر لإفراده أحسن الظروف المعيشية ويتدرج في إعفائهم من جميع المسؤوليات)) (٢٨)

ولكن الكثيرين يرونها آيديولوجية سياسية تعبر عن مصالح البرجوازية (٢٩) وللأسباب السابقة ولخلو البنائية من الأحكام القيمية فقد رفضتها مجموعة من الحكومات الأيديولوجية الشمولية ... إذ أدانت ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية البنائية رسمياً لأنها تتناقض مع أيديولوجيتها وبالفعل فإنه لم تجئ أي دراسة لسانية

بنيوية في ألمانيا وإيطاليا في هذه الفترة ، وكذلك الحال في الإتحاد السوفيتي قبل سنة ١٩٥٠ عندما حكم بعدم شرعيتها لأنها نتاج للأيديولوجيا البرجوازية.. وكذلك في فرنسا فإنها لم يكن لها التأثير الكافي خارج أسوار السوربون. ولم تلقَ البنائية النفوذ الكافي إلا في بريطانيا والولايات المتحدة الأميريكية وذلك يرجع إلى عوامل منها ان دعاتها كانوا يظهرون أنفسهم بأنهم هم وحدهم الذين يمتلكون توجهاً علمياً للغة والعامل الآخر هو الإسناد المالي والتنظيمي الذي لقيته من السلطات الأمريكية. وخاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والسبب في ذلك – أي نجاح البنائية في الولايات المتحدة الأمريكية – يكمن في أنَّ الحكومة الأمريكية أرادت تحليل اللغات العالمية كي تستغل ذلك في الصراع العالمي الجديد[٣٠] وأنَّ البنائيين قد أقنعوا غيرهم بأن طريقتهم في التحليل ((يمكن تطبيقها مباشرة في إعداد كتب تعليم اللغة والقواعد التي ستصبح القوات الأمريكية بحاجة إليها)) [٣١] وهكذا فان الحكومة الأمريكية قد إتجهت إليهم – أي البنائين- في وقت حاجتها بدلاً من اللسانيين ذوي الاتجاهات الأخرى)) [٣٢] الأمر الذي جعل الحكومة الأمريكية أن تقوم بتخصيص مبالغ كبيرة جداً لوضع البرامج اللغوية المكثفة إذ طرح أحد هذه البرامج وهو(ILP) مجموعة من الكورسات بلغت (٥٦) كورساً في (٢٦) لغة في ثماني عشر جامعة وسَجَّل فيها ما يقارب سبعمائة طالب. [٣٣]

وعن هذا الطريق أي السيطرة اللغوية وطرق أخرى دخلت امريكا الحرب الباردة فقد خصّصت كذلك معهداً للدراسات اللغوية المتقدمة وهو معهد جورج تاون للغة واللسانيات [٣٤]

التفكيكية وهرية التدمير

بعد أن أفلَ نجم البنيوية في أوربا ظهرت اتجاهات سيميائية جديدة ربطت بين اللغة والدلالة بعد أن عدمت هذه العلاقة عند البنيوين فأعطت النظريات السيمائية للغة بعداً دلالياً كان مفقوداً من قبل وما أن وصلت العلاقة بين اللغة والدلالة على هذا الحد ظهرت نظرية جديدة رفضت كل أنواع الدلالات والأرتباطات وجعلت الدلالات تائهة إلى هذا الحد ظهرت نظرية جديدة رفضت كل أنواع الدلالات والارتباطات وجعلت الدلالات تائهة إلى ما لا نهاية وهكذا فلم تعد هناك دلالة واحدة بل عدد غير محدود بل لا دلالة. وهذا هو ما نادت به التفكيكية التي يرفض مؤسسها جاك دريدا بأن تدعى منهجاً أو مدرسة أو نظرية وهو ينظر للنص أي نص على أنه (عبارة عن ترسبات ثقافية وان ما تفعله القراءات المختلفة عملية تقليب للنص حتى. يتحرك ما في القاع وتطفو الترسبات الثقافية المختلفة على السطح)) [٣٥] ولهذا كان دريدا يفكك النصوص منطقياً من هوامشها أو مصطلحاتها ويقوم بإبراز التضادات التي تنسف النص منطقياً ومن ثم تبرز تناقضات النص [٣٦] وبذلك فأنه لا وجود لنص أصيل في نظر دريدا فكل النصوص معتدية بصورة أو بأخرى على نصوص سابقة ولا يوجد نص واحد فكل نص مركب من نصوص وكل نص كذلك يمارس لعبة لغوية هي لعبة التباين والأختلاف ولهذا لا يوجد أتساق في النص

فكل نص يفكك نفسه ((ومن هنا وجه دريدا نقده لدوسوير على أساس أنه وقع في اتجاه مركزية الكلمة وأسس الحضور في الكلمة بوصفها نقطة أصلية)) (٣٧) ومن هنا اصبح تفكيك النص تفكيكاً للعقل ولمركزيته ، وأصبح النص خطاباً وذابت الدلالة المركزية وتحوّل الحضور إلى غياب والغياب إلى حضور وصار النص حلقة أو سلسلة متواصلة من الدالات غير المقترنة بمرجع والدلالة تنقل من طبقة معرفية على أخرى دون استقرار وثبات (٣٨) والتفكيك في هذه الحالة يدعو للمزيد من الحرية في هدم النصوص كي ينتقض الإجماع على دلالة النصوص .... ويصبح النص ساحة لإظهار التناقضات والتباينات لا البيانات والتفكيك. كما يقول د. عبد الله إبراهيم ((على التعداد والاختلاف وإلغاء الحضور والتعالي ويهدف إلى تقويض نماذج الحضور التي تستند إليها الحضارة العربية وهذا يسمح بظهور بدائل حضارية وفكرية وفلسفية تتغاير في نظمها وأهدافها عما أرسته الميتافيزيقيا الغربية. فلا غرابة أن يعنى اليابانيون بطروحات دريدا فذلك يتيح لهم فضلاً عن توافر عوامل مهمة أخرى في اليابان إلى الأنفصال عن أوربا والانتقال في مرحلة لاحقة إلى الواقع البديل اقتصادياً وفكرياً .....) (٣٩)

وصِفَتْ التفكيكية بأنها النقيض للبنيوية ، فبعد أن أرست البنيوية الأسس الحتمية والشمولية للأنساق قامت التفكيكية بالتشكيك بتلك المسلّمات والقناعات المتوارثة لأن هذه النظرية اعتمدت أصلاً على طروحات ((القُبالة اليهودية ◆ التي تجعل النص قابلاً لأن يُمنح عدة تأويلات غير منتهية لتحطيم مستواه التعبيري الخطي)) (٤٠) واعتمدت النظرية التفكيكية كذلك على آراء نيتشة ١٨٤٤- ١٩٠٠ العدمية وآراء هيدجر ١٨٨٩-١٩٧٦ الوجودية إذ انطلقت هذه النظرية من شكوك هذين الفيلسوفين في صحة كثير من المقولات والقناعات السائدة في الفلسفة والحضارة الغربية (٤١)

ونتيجةً لنظرة التفكيكيين للنص التي ترى أن النص لا يمثل بنية لغوية متسقة منطقياً تخضع لتقاليد ثابتة يمكن الكشف عنها بل يمثل تركيبية لغوية تعارض نفسها من الداخل وتعج بالكسور والشروخ والفجوات على نحوٍ يجعل النص قابلاً لتفسيرات وتأويلات لا نهاية لها)) (٤٢) يرى بعض الباحثين أنّ تأويل التفكيكيين ما هو إلاّ ((هذيان محموم كهذيان الفصاميين أو الفارين من حربٍ مدمرة)) (٤٣)

إذن من الطبيعي أن تكون تلك الطروحات التي تدعو للحرية غير المنضبطة في التأويل والتي تدعو كذلك لنقض المركزية الأوروبية ، أن تلاقي قبولاً في المزاج الأمريكي (٤٤) وأن يقوم الأمريكيون بالدعوة لهذه النظرية....

Abstract

Coming this research idea the impact of linguistic studies of contemporary theories task outside the context of the language, which she originally theories of political, ideological, historical, religious, and how to exercise such theories do and their impact in the context of

theories of language and how it expresses itself language as one of the outputs of those theories, and this means that the interaction of linguistic theory with other from being one of the theories of intellectual products of the human mind, which means as well as the language in order to voluntarily ideas embodied by the non-linguistic theories .

هوامش البحث

١ - اللغة والواقع آدام شاف بحث ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث لمجموعة من الباحثين ترجمها وعلق عليها عبد القادر قنيني دار افريقيا الشرق الدار البيضاء ط١ سنة ٢٠٠٠ ص٧٢.

٢- ينظر اللغة الثانية في اشكالية المنهج . والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث فاضل ثامر المركز الثقافي العربي – بيروت ط١ ١٩٩٤ص٩.

٣ - بلاغة الخطاب وعلم النص د. صلاح فضل سلسلة عالم المعرفة الكويت تسلسل ١٦٤ سنة ١٩٩٣ ص ٨٢.

٤- دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة د. نصر حامد ابو زيد المركز الثقافي العربي بيروت- الدار البيضاء ط ١ سنة ١٩٩٩ ص ٣٠.

٥ - المصدر نفسه والصفحة

٦ - المصدر نفسه والصفحة

٧ - اللغة الثانية ص ٨٣

٨ - يُنظر المصدر نفسه ص ٨٤

٩ - كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس د. محمد عمراني مطبعة برودار الرباط المغرب ط١ سنة ١٩٩٨ ص١١

١٠- يُنظر البوشيد وروح اليابان تاليف اينازو نيتوبي ترجمة وتقديم د. نصر حامد أبو زيد مراجعة عزيز حمزة دار الشؤون الثقافية العامة ط١ سنة ١٩٩٠ مقدمة المترجم ص٢٩.

١١ - التوراة سفر التكوين : الإصحاح العاشر.

١٢ -يُنظر تأريخ اللغات السامية د. إسرائيل ولفنسون دار القلم بيروت ط١ سنة ١٩٨٠ ص٣.

❖ العيلاميون استقروا في القسم الجنوبي الغربي من إيران.

١٣- أسس علم اللغة . ماريوباي ترجمة د. أحمد مختار عمر منشورات جامعة طرابلس كلية التربية سنة ١٩٧٣ ص ١٣٥ ويُنظر كذلك تاريخ اللغات السامية ص٣.

١٤ - يُنظر دروس اللغة العبرية د. ربحي كمال دار النهضة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨ ص٧

❖ أميل إلى مصطلح – اللغات الجزرية.

١٥ - يُنظر مدخل إلى علم اللغة د. محمد حسن عبد العزيز دار النمر للطباعة مصر سنة ١٩٨٣ ص ٢٧٨.

١٦ - يُنظر مباحث تأسيسية في اللسانيات د. عبد السلام المسدي مطبعة كوتيب تونس سنة ١٩٩٧ ص ١٩٦.

١٧ - يُنظر محاظرات في فلسفة التأريخ هيجل ترجمة وتقديم وتعليق د. امام عبد الفتاح امام مراجعة د. فؤاد زكريا ط٢ سنة ١٩٨١ ص ١٤٧-١٨١ دار التنوير والطباعة والنشر بيروت.

١٨ - يُنظر اللسانيات البنيوية فيدريك نيومير ترجمة مرتضى جواد باقر مجلة الفكر العربي عدد ٨٢ سنة ١٩٩٥ ص ١٦٤.

١٩ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د. عبد المنعم دار المسيرة بيروت ط١ سنة ١٩٨٠ ص ١٤٨.
٢٠ - مفصل العرب واليهود في التأريخ د. احمد سوسة وزارة الثقافة والإعلام بغداد دار الحرية للطباعة سلسلة دراسات ٢٤٣ سنة ١٩٨١ ص ٦٧١.
٢١ - يُنظر في ذلك على سبيل التفضيل كتاب تأريخ الدعوة للعامية د. نفوسة زكريا سعيد وكذلك كتاب مفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٦٧١ وما بعدها.
٢٢ - وهو الدكتور محيي الدين صبحي في كتابه ملامح الشخصية العربية في التيار المعادي للأمة العربية تاليف د. محيي الدين صبحي منشورات المجلس القومي للثقافة العربية الرباط سلسلة الدراسات العدد ٥ سنة ١٩٩١ ص١٥.
٢٣ - يُنظر الجذور الفلسفة للبنائية د. فؤاد زكريا حوليات كلية الآداب جامعة الكويت الحولية الأولى سنة ١٩٨٠ ص٧.
٢٤ - المصدر نفسه ص ٩
٢٥- المصدر نفسه ص ١٦.
٢٦ - يُنظر المصدر نفسه ص ١٧.
٢٧ - البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا تحرير جون ستروك ترجمة د.محمد عصفور سلسلة عالم المعرفة ٢٠٦سنة ١٩٩٦ص ٢٣.
٢٨ - البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو د. عبد الوهاب جعفر دار المعارف مصر سنة ١٩٧٨ ص١٦.
٢٩ - يُنظر المصدر نفسه ص ١٦.
٣٠ - يُنظر اللسانيات البنيوية ص ١٦٢-١٦٣.
٣١ - المصدر نفسه ص١٧٠.
٣٢- المصدر نفسه والصفحة
٣٣ - يُنظر المصدر نفسه ص ١٧١
٣٤ - يُنظر المصدر نفسه ص ١٧٣.
٣٥ - المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك تأليف عبد العزيز حمودة سلسلة عالم المعرفة عدد ٢٣٢ سنة ١٩٩٨ ص ٢٧٣.
٣٦ - يُنظر مقدمة في النظرية الأدبية تيري ايغلتن ترجمة إبراهيم جاسم العلي مراجعة د. عاصم إسماعيل دار الشؤون الثقافية العامة بغداد سنة ١٩٩٢ ص ١٤٥.
٣٧ - استراتيجية التفكيك مقدمة نظرية وإجراء تطبيقي بسام قطوس مجلة البصائر جامعة البنات الأردنية مجلد ١ عدد ٢ سنة ١٩٩٧ ص ٧٣.
٣٨ - يُنظر المصدر نفسه والصفحة
٣٩ - التفكيك الأصول والمقولات د. عبد الله إبراهيم دار توبقال للنشر الرباط ١٩٩٢ ص ٩٢.
٤٠ - من المعروف أن جاك دريدا يهودي الأصل ينظر في ذلك التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب د. علي الشرع مجلة دراسات الأردن مجلد ١٦ عدد ٣ سنة ١٩٨٦ ص ١٩٨. ويُنظر مجهول البيان د. محمد مفتاح دارتوبقال للنشر الدار البيضاء ط١ ١٩٩٠ ص ٩١.
٤١ - يُنظر التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب ص ٩٩.
٤٢ - التفسير،التفكيك أو الأيديولوجيا كيستوفر بتلر ترجمة نهاد مليحة مجلة فصول مجلد ٥ عدد٣ سنة ١٩٨٥ص ٨٠.
٤٣ - مجهول البيان ص ١٠٢

٤٤ - يُنظر المرايا المُحدّبة ص ١٦٢

قائمة المصادر والمراجع

١- استراتيجية التفكيك مقدمة نظرية وإجراء تطبيقي، د. بسام قطوس، مجلة البصائر، جامعة البنات الأردنية، مجلد١، عدد٢، سنة ١٩٩٧.
٢- أسس علم اللغة ماريوباي ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، سنة ١٩٧٣.
٣- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، تسلسل ١٦٤، سنة ١٩٩٣.
٤- البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، الدكتور عبدالوهاب جعفر، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧٨.
٥- البنيوية وما بعدها من ليفي شتراس الى دريدا، تحرير جون ستروك ترجمة الدكتور محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٠٦، سنة ١٩٩٦.
٦- البوشيدو وروح اليابان تأليف انيازو نيتوبي، ترجمة وتقديم، د. نصر حامد أبو زيد، مراجعة عزيز حمزة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، سنة ١٩٩٠.
٧- تأريخ الدعوة للعامية، الدكتورة نفوسة زكريا سعيد.
٨- تأريخ اللغات السامية، د. اسرائيل ولفنسون، دار القلم، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٠.
٩- التفسير، التفكيك أو الآيديولوجيا كيستوفر بتلر، ترجمة نهاد مليحة، مجلة فصول، مجلد ٥، عدد٣، سنة ١٩٨٥.
١٠- التفكيك الأصول والمقولات، د. عبدالله ابراهيم، دار توبقال للنشر، الرباط، سنة ١٩٩٢.
١١- التفكيكية والنقاد الحداثيون العرب، د. علي الشرع، مجلة دراسات، الاردن، الجامعة الاردنية، مجلد١٦، عدد٣، سنة ١٩٨٦.
١٢- الجذور الفلسفية للبنائية، د. فؤاد زكريا، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الاولى، سنة ١٩٨٠.
١٣- دروس اللغة العبرية، د. ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٨.
١٤- دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٩٩.
١٥- كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس، د. محمد عمراني، مطبعة برو، الدار البيضاء، المغرب، ط١، سنة ١٩٩٨.
١٦- اللسانيات البنيوية، فيلدريك نيومير، ترجمة الدكتور مرتضى جواد باقر، مجلة الفكر العربي، عدد ٨٢، سنة ١٩٩٥.
١٧- اللغة الثانية في اشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي، فاضل ثامر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٤.
١٨- اللغة والوقع، آدم شاف بحث ضمن كتاب المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث لمجموعة من الباحثين ترجمها وعلّق عليها عبدالقادر قنيني، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، سنة ٢٠٠٠.
١٩- مباحث تأسيسة في اللسانيات، د. عبدالسلام المسدي، مطبعة كوتيب، تونس سنة ١٩٩٧.
٢٠- محاضرات في فلسفة التأريخ لهيجل، ترجمة وتقديم وتعليق د. إمام عبدالفتاح، إمام مراجعة د. فؤاد زكريا، دار التنوير، للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، سنة ١٩٨١.
٢١- مجهول البيان، الدكتور محمد مفتاح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٩٠.
٢٢- مدخل الى علم اللغة، د. محمد حسن عبدالعزيز ، دار النمر للطباعاة، مصر، سنة ١٩٨٣.

٢٣-المرايا المحدبة من البنيوية الى التفكيك، تأليف عبدالعزيز، حمودة سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٣٢، سنة ١٩٩٨.
٢٤- مفصل العرب واليهود في التأريخ، د. أحمد سوسة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، سلسلة دراسات، العدد ٢٤٣، سنة ١٩٨١.
٢٥- مقدمة في النظرية الأدبية، تيري إيفلتن ترجمة ابراهيم جاسم العلي، مراجعة الدكتور عاصم اسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سنة ١٩٩٢.
٢٦-ملامح الشخصية العربية في التيار المعادي للأمة العربية، د. محيي الدين صبحي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، سلسلة الدراسات، العدد٥، سنة ١٩٩١.
٢٧-الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبدالمنعم السيد/ دار المسيرة، بيروت، ط١، سنة ١٩٨٠.